

الإصلاح في البلاد العثمانية

(١)

إنما نحن بين تابعة تبعث على الحب ،
فتحمل على الرجاء و (بين) اختبار يدعو إلى
الاحتراز ، فيحدو إلى الخوف . تعزف أنفسنا
عن القنوط بما أشربت من خالص الولاء ، ثم
لا تجد للرجاء من مقدمة تدل على النتيجة ،
فلا هي واقعة في اليأس فتستريح ، ولا هي
فائزة بالأمل فتتها .

يرى اختلال الأمور وتلاشى الأحوال
وضياع الأموال وانحطاط الاستقلال في بلاد
أنبتنا أطفالاً وعلمتنا مراهقين وهذبتنا فتیاناً
فنبكى بدموع لا يمازجها الرياء . ولا يُداخلها

الدهان ثم تمر بنا الوعود تبعاً سراعاً كخلب ييهز الأبصار ولا يليه الغيث فيقف جاري
الدمع بنفاد مادة الصبر أو بامتلاء كأس اليأس . فإذا نظرنا بعين البصير إلى المآل والمصير ،
ورأينا الاختلال منذراً بسطوة الغريب والغريب موعداً يحو الوجود الاستقلالي عاد
الدمع لمجراه يُحاول أن يحجب عن أعين المحبين سوء عاقبة المهملين .

ثم نُطلق طرف الطرف في مجال أحوالنا العمومية ملتمسين باباً للنجاة وسبيلاً
للإصلاح ، فلا نجد إلا سدود الفتن وحوارج الإحن وعقبات المجاعات حتى نكاد ونستغفر
اللّه نجزم بأن السماء قد حجبت عنا أنوار هدايتها ، وبنيت بنا حبال عنايتها ، وحتى نكاد
نشد متمثلين .

لا تترج هيهات منه صلاحه إن كان ربك قد قضى بفساده

الإصلاح في البلاد العثمانية

(١)

إنما نحن بين تابعة تبعث على الحب فتحمل على
الرجاء و (بين) اختبار يدعو إلى الاحتراز فيحدو إلى
الخوف . تعزف أنفسنا عن القنوط بما أشربت من خالص
الولاء . ثم لا تجد للرجاء من مقدمة تدل على النتيجة
فلا هي واقعة في اليأس فتستريح ولا هي فائزة بالأمل
فتتها .

يرى اختلال الأمور وتلاشي الأحوال وضاياع
الأموال وانحطاط الاستقلال في بلاد أنبتنا أطفالاً
وهذبتنا مراهقين وهذبتنا فتیاناً فنبكى بدموع لا يمازجها
الرياء . ولا يُداخلها الدهان ثم تمر بنا الوعود تبعاً
سراعاً كخلب ييهز الأبصار ولا يليه الغيث فيقف جاري
الدمع بنفاد مادة الصبر أو بامتلاء كأس اليأس فإذا
نظرنا بعين البصير إلى المآل والمصير ورأينا الاختلال
منذراً بسطوة الغريب والغريب موعداً يحو الوجود
الاستقلالي عاد الدمع لمجراه يُحاول أن يحجب عن أعين
المحبين سوء عاقبة المهملين .

ثم نطأ في طرف الطرف في مجال الأحوال العمومية
 بالتمسك بابا الحياة وسبيلاً للإصلاح فلا نجد إلا سدود
 الفتن وجواز الإحتياج وعقبات الجماعات حتى تكاد
 واستغفر الله نجزم بان السماء قد تحجبت عنا انوار هدايتها
 وبفت بنا حبال عنايتها وحتى تكاد نشهد مخدلين
 لا تخرج هيات منه صلاحه
 ان كان ريك قد قضى بساده

نعم انه لا بد لبلاد الدولة من الإصلاح تخرج به
 من خطه الخسف ومضيق الضيق وهاروية الفقر وغيابة
 بئر الخمول فتنتقل صناعتها عما ارتفعت عليه منذ خمسة
 قرون : انوال تهتز عليها الايدي والأرؤس والأرجل

من غلس اليوم الى عشائه ليجرك ذراعاً او بعض ذراع
 وإبر تاكل من السبابات بمقدار ما تغرز في القماش من
 عشائه اليوم الى غلسه ليعط قيصاً او بعض قيص
 وسجاريك من عهد اخنوخ تجرهما ابقار يسوقها الزرايع
 سجارة يوم يشوعى الشمس لتفلق دوغماً او بعض دوغم من
 الارض . كل ذلك نقبل به الوقت الذي يستويه
 الغرييون وشتان بين من يجي ومن يبت . ونعلم ان
 لا بد من الإصلاح نستخرج به من ارضنا الأزلية الثروة

ثم نفي عناه في وجهة المقاصد الاجنبية والأحوال
 الدولية طالعين وجهاً للسلامة وصورة اللامل فلا نرى
 إلا المخاوف على صور المنشورات وأشكال المخابرات
 وهيئات النذر ولا نصور إلا المخاطر تحت حجب السفارات
 ويستور الرسائل ولا نشهد إلا المهالك على رسوم
 الوساطة وفي حقائق التداخل حتى تكاد لولا الدين
 نقول ما انصفنا الدهر انه من الظالمين

نعم إنه لا بد لبلاد الدولة من الإصلاح
 تخرج به من خطة الخسف ومضيق الضعف
 وهاروية الفقر وغيابة بئر الخمول ، فتنتقل
 صناعتها مما استقرت عليه منذ خمسة قرون :
 أنوال تهتز عليها الأيدي والأرؤس والأرجل
 من غلس * اليوم إلى عشائه ، لتتحرك ذراعاً أو
 بعض ذراع وإبر تاكل من السبابات بمقدار ما
 تغرز في القماش من عشائه اليوم إلى غلسه ،
 لتخيط قميصاً أو بعض قميص ومحارث من
 عهد أخنوخ تجرها أبقار يسوقها الزراع سحابة
 يوم يشوعى الشمس لتفلق دوغماً أو بعض دوغم
 من الأرض . كل ذلك نقتل به الوقت الذي
 يستحبه الغرييون ، وشتان بين من يحيى ومن
 يميت . ونعلم أن لا بد من الإصلاح نستخرج
 به من أرضنا الأزلية الثروة . ثم تُثنى عنانه في
 وجهة المقاصد الأجنبية والأحوال الدولية
 طالبين وجهاً للسلامة وصورة للأمل ، فلا
 نرى إلا المخاوف على صور المنشورات
 وأشكال المخابرات وهيئات النذر ، ولا تُبصر
 إلا المخاطر تحت حجب السفارات وستور

الرسالات ، ولا نشهد إلا المهالك على رسوم الوساطة وفي حقائق التداخل حتى تكاد
 لولا الدين نقول ما أنصفنا الدهر إنه من الظالمين .

لا نقول ذلك تعصباً على الأجنبي أو نفوراً مما يعد به من الإصلاح أو ذهولاً عن كوننا

* غلس = تداخل آخر الظلام مع أول النور.

كالطفل المريض لا بد من سقيه العلاج كرهاً ، ولكن نخاف ما وراء ذلك من تلاشي العصبية وتبدد الجماعة وانطفاء أنوار الآمال وإمحاء آثار الاستقلال بعد إذ تنبتهت الخواطر في الأمة العثمانية ، فصار بها عدد غير قليل ممن يعلمون أن القوم الذين ليس لهم من جامعة وطنية ورابطة دولية وهيئة سياسية إنما هم في عالم الإنسان بمنزلة الداجن من الحيوان يُطعمون ؛ يستخدموا ويستخدمون لغير أنفسهم وبئس الشأن شأن ينحط به الإنسان إلى درجة الحيوان .

وذى قضيتنا للناس نسطها

ما القول ما الرأي ما التدبير ما العمل

ما لا يزال دفيناً بما نبث من الأمن تمهيداً لسبيل الزراعة وما تنشر من العلم هداية إلى كنوز المعادن بحيث لا يخاف الزارع أن يفاجئه من يحصد المزروع ، ولا يكون أهل القرية في لباس الذل والفقر على كون بيوتهم قائمة على معدن الذهب .

لا نقول ذلك تعصفاً على الاجابي او نفوراً مما بعد بو من الاصلاح او ذملاً عن كوننا كالطفل المريض لا بد من سقيه العلاج كرهاً ولكن نخاف ما وراء ذلك من تلاشي العصبية وتبدد الجماعة وانطفاء انوار الآمال وإمحاء آثار الاستقلال بعد إذ تنبتهت الخواطر في الأمة العثمانية فصار بها عدد غير قليل ممن يعلمون ان القوم الذين ليس لهم من جامعة وطنية ورابطة دولية وهيئة سياسية انما هم في عالم الانسان بمنزلة الداجن من الحيوان يطعمون يستخدمون لغير انفسهم وبئس الشأن شأن ينحط به الانسان الى درجة الحيوان

وذى قضيتنا للناس نسطها

ما القول ما الرأي ما التدبير ما العمل

ما لا يزال دفيناً بما نبث من الأمن تمهيداً لسبيل الزراعة وما تنشر من العلم هداية إلى كنوز المعادن بحيث لا يخاف الزارع أن يفاجئه من يحصد المزروع ولا يكون أهل القرية في لباس الذل والفقر على كون بيوتهم قائمة على معدن الذهب . نعلم جميع ذلك ولا نجهد دواء الداء ولكن العلم غير العمل والقول غير الفعل

فما الرأي أنقنط من الرحمة ولا يقنط منها إلا الخاسرون أم نأمل أمل الشائب في الشباب . أم نلقى بأنفسنا بين أيدي الذرية نقول تصرفوا في أمورنا كيف شئتم إنا لكم من التابعين هذه مسألة نعرضها لأولى الأمر من رجال الدولة النبهاء ولا نزيدم بها علماً ولكن شأننا التذكير وربما نفعنا الذكرى . .

نعلم جميع ذلك ، ولا نجهد دواء الداء ، ولكن العلم غير العمل والقول غير الفعل .

فما الرأي أنقنط من الرحمة ، ولا يقنط منها إلا الخاسرون أم نأمل أمل الشائب في الشباب ؟ . أم نلقى بأنفسنا بين أيدي الغرباء ، نقول تصرفوا في أمورنا كيف شئتم إنا لكم من التابعين . هذه مسألة نعرضها لأولى الأمر من رجال الدولة النبهاء . ولا نزيدهم بها علماً ، ولكن شأننا التذكير وربما نفعنا الذكرى .